مرحلة النصف الأول من القرن العشرين(مرحلة القوى العاملة)

وقد كانت السمة المميزة للدراسات التربوية المقارنة في هذه المرحلة هي الاهتمام بشرح أوجه التشابه والاختلاف بين النظم التعليمية المختلفة والقوى والعوامل التي تقف وراءها، فهي مرحلة تحليلية تفسيرية للعوامل الثقافية من تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية عن طريق تتبعها وملاحظتها، لذلك اتسمت هذه المرحلة بالاهتمام المزايد بتفسير النظم التعليمية في ضوء القوى والعوامل دون إغفال دور العوامل الأخرى.

ويعتبر **مايكل سادلر** (1861-1943) المربي الانجليزي الرائد الأول في هذه المرحلة، فهو يؤمن بأن النظم القومية للتعليم لها طابعها الخاص ولا يجوز نقلها من مكان لآخر عند دراسة نظم تعليمية أجنبية لمحاولة الإفادة منها، وقد عبر عن ذلك في مقال له صدر عام 1900 تحت عنوان **(إلى أي مدى يمكننا أن نتعلم شيئا ذا قيمة من دراسة النظم التعليمية الأجنبية)** بقوله: "إنه ينبغي عند دراستنا لنظم التعليم الأجنبية ألا ننسي أن هناك أشياء خارج المدرسة قد تكون أكثر أهمية من الأشياء التي توجد داخلها، بل إنها تتحكم فيها وتفسرها، ولا يمكننا أن نتجول بين النظم التعليمية ونقطف زهرة من غصن، وبصفة أوراق من غصن آخر، ثم نتوقع أننا لو غرسنا ما جمعناه في تربية بلدنا، فإننا نحصل علي نبات حي.

ولاشك في أهمية مقال **سادلر** الذي خرج فيه عن المألوف في كتابات القرن التاسع عشر، ووجه الاهتمام إلي أمور أساسية في الدراسات التربوية المقارنة، إذ أوضح أهمية القوى والعوامل الثقافية والتاريخية في المجتمع في التأثير على النظم التعليمية وتوجيهها كما بين أن كل نظام تعليمي ينبع أساسا من التربية الثقافية التي نشأ وترعرع فيها ويمثلها.

ذكر سادلر مبدأين أساسيين من مبادئ التربية المقارنة:

أولهما: ضرورة دراسة النظم التعليمية الأجنبية دراسة علمية بعيدة عن التعصب والتحيز الشخصي والثقافي.

ثانيهما: ما يمكن أن تؤدي إليه تلك الدراسة من تأهيل الدارسين للفهم الصحيح المتبصر للنظام التعليمي القومي في بلده.

وكان لآراء سادلر التي أظهرت أهمية القوى والعوامل الثقافية والتاريخية في توجيه وتشكيل النظم التعليمية أثرها على كثيرين من كتاب القرن العشرين وفي مقدمتهم "كاندل" و "هانز" و "لاواريز" وغيرهم ولكل منهم نظريته الخاصة وما يراه في هذا المجال.

وقد كانت كتابات كتندل أمثلة بارزة للبحث المستمر لفهم العلاقة بين التعليم والمشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه مختلف الدول، وضمن ذلك فيما كتبه عن التربية المقارنة وحاول فيه الربط بين نظام التربية وتاريخها، فهو يعتبر القوى والعوامل مؤثرات سببها النظم والمسائل والمشكلات التعليمية، كان كاندل يرى أن وظيفة التربية المقارنة ليست المفاضلة بين النظم التعليمية أو تحديد أيها أحسن، إن القيمة الحقيقية للتربية المقارنة في اعتناء وإخصاب أفكارنا وتفكيرنا.

وكان كاندل لا يكتفي بالوصف وإنما بالتفسير والشرح، ويهتم بشرح القوى والعوامل التي تسبب حدوث ظاهرة تعليمية ما أو خصائص تربوبة معينة، وينظر للثقافات التي درسها من منظور تاريخي وحاول أن يؤكد الطابع القومي لكل منها، ولهذا يعتبر كاندل من رواد المنهاج التاريخي في التربية المقارنة.

أما **نيكولاس هانز** (1888- منتصف السبعينات) فقد حاول تفصيل العوامل القومية المؤثرة على النظام التعليمي في كتابه "التربية المقارنة" وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: القسم الأول ويضم العوامل الطبيعية، أما القسم الثاني أطلق عليه العوامل الدينية، والقسم الثالث وسماه العوامل العلمانية، ويقول **هانز** في مقدمة كتابه "إذا استطعنا أن نفصل ونحلل العوامل التي كانت نشطة تاريخيا في نشأة الأمم المختلفة فيمكننا أن نسير قدما نحو تحديد المبادئ التي نغف خلف النظم القومية للتعليم.

ويقول **هانز:** مهما تحاول النظم التربوية جاهدة أن تكيف نفسها للظروف الطبيعية فإنها تتقيد بالمواقف القائمة وهي تعكس كثيرا أو قليلا أحداث الماضي التاريخية، كما تعكس الحاضر الجغرافى، والتربية تتخذ تحت تأثير تلك المجموعة من العوامل دورا إيجابيا حيث تتغير المواقف الموروثة و يعاد تشكيلها تبعا لمثل أعلى روحي معين، وقد كانت جميع الحركات الدينية والسياسية الضخمة وجميع الإصلاحات الكبيرة مفعمة بمثل أعلى عالمي مما أدى إلى إحداث تغيير في النظرية التربوية وتطبيقها.

وبصفة عامة، يتضح من كتابات المشتغلين بالتربية المقارنة في هذه المرحلة والممثلين لمنهج القوى والعوامل أن اهتمامهم الأكبر كان موجها لدراسة القوى والعوامل المؤثر في نظم التعليم وشرح أوجه الشبه والاختلاف بينها، وتركزت هذه العوامل في ثلاثة أبعاد وهي: البعد التاريخي، الاجتماعي، والفلسفي، ويؤخذ على كتاب هذه المرحلة ما يلي:

— افترض وجود علاقة قوية بين القوى الثقافية ونظم التعليم والأثر المباشر لهذه العوامل في تشكيلها، واتخاذ تلك العوامل أساسا لتفسير ذلك، بينما أصبحت تلك العوامل نفسها في الوقت الحاضر موضوعا للبحث.

— الاهتمام بتحليل العوامل الخارجية "الثقافية" أكثر من الاهتمام بمقارنة العوامل الذاتية المتعلقة بالتربية وأنظمتها ومشكلاتها، وبذلك نقلوا ميدان البحث من التربية إلى العلوم الاجتماعية الأخرى بينما

كان بالإمكان حصر ميدان المقارنة في حدود التربية.

— التركيز على الخصائص القومية والتطرف والتحيز في الاتجاه دونما اعتبار بأن التربية المقارنة تسعى لإيجاد بيئة تؤمن بالإنسانية والتعاون العالمي بين مختلف الشعوب.

— كانوا من المفكرين المهتمين بتفسير النظم والظواهر التعليمية أكثر من أن يكونوا من بين المعلمين المهتمين بوضع السياسات التعليمية بهدف الإصلاح وتحسين الأوضاع للنظم التعليمية.